الاستعارة في آيات يوم القيامة بين الإفراد والتركيب

د زينب الحايك* مزيّن محمد خير زكّار**

(الإيداع: 4 نيسان 2024، القبول: 2 تموز 2024)

الملخص:

تعدّ الاستعارة ظاهرة بيانية واضحة في آيات يوم القيامة، ووسيلة من وسائل اللغة بما تحمله من دلالات تعمل على ربط الشيء غير المعروف بالشيء المعروف؛ لإثبات أفكار جديدة، وتقريب عالم الغيب من المتلقي، وتخيل ما فيه من أحداث؛ مما يؤدي إلى التأثير الوجداني والعقلي لدى المتلقي.

لذلك سعى هذا البحث إلى التركيز على الاستعارة الواردة في آيات يوم القيامة بأنواعها المختلفة من فعلية، واسمية مفردة ومركبة ضمن سياقات البعث، والحشر، والجنة، والنار، والكشف عن جماليات الاستعارة، والغرض الذي وُظفت الاستعارة في السياق من أجله.

وخُتم البحث بنتائج بيّنت غلبة الاستعارة المفردة على المركبة، وتنوّع بنى الاستعارة بين الاسمية والفعلية بما يخدم السياق، ووظيفة الاستعارة في الآيات الكريمة المدروسة، وفاعليتها في التأثير في المتلقي عن طريق إعمال عقله في تحليلها واستيعابها.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم –الاستعارة – يوم القيامة – الاستعارة المفردة – الاستعارة المركبة.

*دكتوراه–اختصاص علم المعاني– كلية الآداب جامعة حماة.

** طالبة دراسات عليا– ماجستير– قسم الدراسات اللغوية– كلية الآداب جامعة حماة.

Metaphors of verses of the day of judgement in terms of rehetorics and semantics"

Dr. Zainab Al–Haik * Muzian Muhammad Khair Zakkar**

(Received: 4 April, 2024, Accepted: 2 July 2024)

Abstract

Metaphor is a clear rhetorical phenomenon in the verses of Doomesday as well as it is a means of language since it has autosuggestions that work to link the unknown thing with the known thing, to report new facts, and adduct the unssen world to the recipient and imagine the events in it, leading to an emotional and mental impact on the recipient

Hence, this research seeks to shed light on the metaphor in the verses of Doomesday with its various types; verbal and nominal, single and compound, within the contexts of resurrection, gathering, heaven, and hell, and to reveal the aesthetics of metaphor, purpose for which metaphor was employed in the context. the and

The research was concluded with results that showed the dominance of the single metaphor over the compound, and the diversity of metaphor structures between verbal and nominal in a way that serves the context, the function of the metaphor, and its effectiveness in influencing the recipient by using his mind to analyze and comprehend it .

*PhD – Specialization in the Science of Meanings – Faculty of Arts, University of Hama.

** Graduate student – Master's degree – Department of Linguistic Studies – Faculty of Arts, University of Hama.

المقدمة:

وردت الاستعارة كثيراً في القرآن الكريم عامّة، وفي آيات يوم القيامة خاصّة؛ مما استدعى من الباحثة الوقوف عليها لمعرفة جمالياتها المنبثقة من دلالالتها عن طريق الكشف عما تنطوي عليه الاستعارة من كثافة دلالية، وشحنات عاطفية، وإثراء معرفي يشدّ المتلقي؛ فيُعمل ذهنه لاستيعابها وتذوقها؛ فيترك هذا الجهد المبذول تأثيراً وجدانياً وعقلياً لدى المتلقي، وقد تتبّع البحث الاستعارة بأنواعها وأقسامها المختلفة ضمن سياقات البعث، والجنة، والنار.

مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه:

يتتبّع هذا البحث ظاهرة الاستعارة في آيات يوم القيامة بأشكالها المختلفة ضمن سياقات مختلفة من بعثٍ، وحشر، وجنة، ونار. وتكمن أهميته في التركيز على بنية الاستعارة، وتحليلها، وبيان الغرض منها في إنتاج الجماليات والدلالات المعبرة، ولعلّ الجديد الذي قدّمه البحث هو: مدى قدرتها – بوصفها وسيلة بيانية تعمل على تصوير المشاهد الغيبية وتقريبها وتوضيحها– على ترك أثر وجداني في المتلقي؛ مما يؤدي إلى إقناعه بالإيمان في اليوم الآخر، والابتعاد عن كل عمل يقرّبه من النار وعمل كل فعل يقرّبه من الجنة.

أهداف البحث وأسئلته: يهدف البحث إلى الإجابة عن السؤاليين الآتيين:

1– ما الأثر الجمالي للاستعارة مفردة كانت أو مركبة في آيات يوم القيامة؟

2– كيف وَظّف النّص القرآني الاستعارة في نقل المشاهد الغيبية بما فيها من أحداث وتقريبها من ذهن المتلقي ووجدانه؟

يعتمد البحث فرضية مفادها: أنّ الاستعارة في آيات يوم القيامة ظاهرة أسلوبية فنية كثُرت في آيات يوم القيامة، ولها فاعليتها في تقريب عالم الغيب إلى ذهن المتلقي، ويبدأ البحث بتعريف الاستعارة لغة واصطلاحاً، ثم بيان أنواع الاستعارة من حيث الإفراد والتركيب، وعرض لبعض نظريات الاستعارة ، ثم الوقوف على الاستعارة في آيات يوم القيامة، وذلك في سياقات وصف مشاهد البعث، والجنة، والنار.

منهج البحث وإجراءاته: اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي[1] الذي يقوم على وصف الظاهرة الموجودة في الآيات وتحليلها وشرحها؛ بهدف استخلاص النتائج المناسبة، مع الإفادة من المنهج الأسلوبي[2].

الاستعارة لغة: جاء في لسان العرب في مادة عَيَرَ :" الاستعارة من العارية، وقال الجوهري وعار الفرس انفَلَت وذهب، وقال: ومعنى أعارت رفعت وحوّلت، قال ومنه إعارة الثياب والأدوات"[3]، فهي إذن النقل، وهذا النقل لا يكون إلا بين شيئين بينهما صلة.

الاستعارة اصطلاحاً: عرّفها العلوي بأنّها: "تصييرك الشيءَ للشيءَ وليس به، وجعلك الشيء للشيء، وليس له؛ بحيث لا يُلحظ فيه معنى التشبيه صورة ولا حُكماً"[4]. أما السكاكي فقد ذكر أنّ الاستعارة: "أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر مدعيّاً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"[5].

فالاستعارة هي: تشبيه حُذف أحدُ طرفيه وأداةُ التشبيه ووجه الشبه، وهي أبلغ من التشبيه، وهذا ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني في قوله: "وأما الاستعارة؛ فسبب ما تُرى لها من المزية والفخامة، أنك إذا قلت: (رأيت أسداً)، كنت قد تلطّفتَ لِما أردتَ إثباته له من فرط الشجاعة، حتى جعلتَها كالشيء الذي يجب له الثّبوتُ والحصول، ...، وإذا صَرَّحت بالتشبيه

---

[1] المنهج الوصفي التحليلي: هو منهج يعنى بدراسة الاستعمال اللغوي في عمومه عند شخص بعينه في زمان بعينه ومكان بعينه فهو يقوم على أساس وصف اللغة أو اللهجة في مستوياتها المختلفة.

[2] المنهج الأسلوبي: فهو يقوم على مجموعة من الأدوات الإجرائية لدراسة النصوص بالاعتماد على أسرار الجمال فيها بطريقة منهجية علمية للوصول إلى روعة الجمال.

[3] لسان العرب، ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت ج 4، مادة عير.

[4] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، دار الكتب الخديوية، مصر، ج1، ص202.

[5] مفتاح العلوم، السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ص369.

فقلت:(رأيت رجلا كالأسد)، كنت قد أثبتها إثباتَ الشيء، يترجّحُ بين أن يكون وبين ألّا يكون، ولم يكن من حديث الوجوب في شيء"[1].

فما يميّزُ الاستعارة أنها تعتمد على التفاعل بين طرفي التشبيه؛ بحيث يصيران شيئاً واحداً في مركب جديد يفسح المجال للخيال في تصور ما أرادت الاستعارة تصويره، وتقديمه إلى المتلقي بهدف إثراء معرفته.

والاستعارة من حيث الإفراد والتركيب نوعان: مفردة ومركبة.

فالاستعارة المفردة هي: "ما كان المستعار فيها لفظاً مفرداً، كما هو الشأن في الاستعارة التصريحية والمكنية"[2].

أما الاستعارة المركبة [3]**فهي:** ما كان المستعار فيها تركيباً، ويسميها البلاغيون: (الاستعارة التمثيلية)، ويعرّفونها بأنها: "تركيب استعمل في غير ما وُضِع له؛ لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي؛ بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة من متعدد، وذلك بأنْ تشبّه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين، أو أمور بأخرى، ثم نُدخل المشبه في الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه"[4].

وتقسم الاستعارة تَبَعاً لذكر أحد طرفيها، أو حذفه إلى: تصريحية ومكنية، كما تقسم الاستعارة تَبَعاً لطرفيها إلى: 1–وفاقية: وهي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لما بين الطرفين من الوفاق.2–العنادية: وهي التي لا يمكن اجتماع طرفيها لما بينهما من التعاند.

والاستعارة على الصعيد الغربي جاءت في عدّة نظريات منها: **1– النّظريّة الاستبداليّة:** تعود هذه النظرية في أصولها إلى أرسطو الذي عرّف الاستعارة بقوله: "هي نقل اسم شيء إلى شيء آخر"[5]، وكلمة (نقل) استبدال، أي: استبدال شيء بشيء، والنقل عند أرسطو: " نقل من الجنس إلى النوع أو من النوع إلى الجنس، أو من نوع إلى نوع، أو ينقل بطريقة المناسبة"[6]. تركّز هذه النظرية على نقطتين مهمتين[7]:

أ– إنّ الاستعارة تزيين ووشي لاحق باللغة، وأثرها ينبع من تمازج المألوف مع غير المألوف، ومن هذا التمازج نحصل على عنصري التجلية والإدهاش.**ب**– إنّ الاستعارة لا تتعلق بكلمة معجمية واحدة، وهي تحصل باستبدال لفظة استعارية بلفظة حقيقية.

و"يحلّل أصحاب هذه النظرية الاستعارة بطريقة تعتمد على الاستبدال والمقارنة، والغرض من استبدال كلمة استعارية بأخرى غرض أسلوبي"[8].

2– **النظرية التفاعليّة:** تقوم على مجموعة من المرتكزات يمكن اختصارها فيما يأتي[9]:أ–إنّ الاستعارة لا تتجلّى في مبدأ الاستبدال، ولكنها تحصل من التفاعل بين بؤرة المجاز، والإطار المحيط بها. ب– للتركيب الاستعاري موضوعان متميزان: الموضوع الرئيس، والموضوع الثانوي، وهذا الموضوعان ينبغي أن يفهما على أنهما نظام أشياء لا أشياء. ج– تعمل الاستعارة بتطبيق مبدأ تضمينات مشتركة على الموضوع الرئيس؛ بحيث يكون هذا المبدأ مميزاً للموضوع الثاني. د–إنّ الاستعارة لا تنعكس في مبدأ الاستبدال، ولكنها تحصل من التفاعل بين بؤرة المجاز، والإطار المحيط بها. هـ– إنّ

---

[1] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، طبعة خاصة من مكتبة الخانجي لمكتبة الأسرة، ص72–73

[2] علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص192.

[3] هي الاستعارة التي سماها الجرجاني الاستعارة على حدّ التمثيل، وهي استعارة تصريحية.

[4] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، تحقيق التنوخي، ط1، دار القلم، دمشق، ص 256 – 267.

[5] كتاب أرسطو طاليس في الشعر، نقل متى بن يونس، تحقيق وترجمة شكري عياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص163.

[6] المرجع السابق نفسه، ص163.

[7] النظرية الاستبدالية للاستعارة، يوسف أبو العدوس، مجلس النشر العلمي، 1990م، ص20.

[8] الاستعارة في النقد الأدبي، يوسف أبو العدوس، ص55.

[9] المرجع السابق نفسه، ص163.

للاستعارة أهدافاً جمالية، وتشخيصية، وتجسيدية، وعاطفية، ووصفية، وحرفية. – إنّ الاستعارة تتجاوز الاقتصار على كلمة واحدة، والكلمة أو الجملة ليس لها معنى حقيقي محدّد بكيفية نهائية، وإنما السياق هو الذي ينتجه.

3– **النظرية السياقية:** يرى أصحاب النظريّة السياقيّة أنّ الاستعارة: "هي عملية خلق جديد في اللغة، ولغة داخل لغة، فيما تقيمه من علاقات جديدة بين الكلمات، وبها تحدُث إذابة لعناصر الواقع؛ لإعادة تركيبها من جديد. وهي في هذا التركيب الجديد كأنّها منحت تجانساً كانت تفتقده، وهي بذلك تبّث حياة داخل الحياة التي تعرف أنماطها الرّتيبة، وبهذا تضيف وجوداً جديداً، أي تزيد الوجود الذي نعرفه، هذا الوجود الذي تخلقه علاقات الكلمات بواسطة تشكيلات لغوية عن طريق تمثيل جديد له"[1]، وإنّ تحديد "المعنى الذي تشير إليه الكلمة يعتمد بشكل كبير على معرفة حقل تلك الكلمة، أو البيئة الخاصة بها، إذ توجد حقول وبيئات فنية مختلفة...، ويتعلق مفهوم البيئة الفنية بالتجربة التي تكتسب لأنواع متعددة من الاتصال والتفاهم، إذ إنّ هناك بيئات فنية متنوعة"[2].

القيامة لغة: القيامة من(قوم) جاء في لسان العرب في مادة قوم[3]: "القيام: نقيض الجلوس، قام يقوم قوماً وقياماً وقومة وقامةً، والقومة: المرة الواحدة، والقيامة في العربية: مصدر قام يقوم، ودخلها التأنيث للمبالغة على عادة العرب".

القيامة اصطلاحاً: هي "الحادثة الكونية العظمى التي تُطوى عندها السماوات والأرض، وينتثر فيها النظام الكوني أجمع"[4].

ولمّا كان للاستعارة خصائص ومميزات تعمل على تشخيص المعنى وتجسيمه، كان لوجودها النصيب الأكبر في آيات يوم القيامة، ولما لهذه الاستعارة مناسبة لموضوع آيات يوم القيامة في تقريب البعيد، وتصوير الغيبيات؛ فتركيبها يحملنا على تناسي التشبيه، وتخيل صورة جديدة بما فيها من ترغيب وترهيب يؤثّران في وجدان المتلقي ويخاطبان عقله.

الاستعارة المفردة في آيات يوم القيامة:

1–الاستعارة المفردة في آيات البعث:

من ذلك ما جاء في سورة (الإسراء) في قوله تعالى:﴿ **وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا(49) قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا(50) أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا(51) يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا(52)** ﴾[5]

في سياق يتحدث عن إبطال المنكرين للبعث، واستنكارهم له ضمن حوار قائم على الالتفات، وهو مبني على تلون الأساليب الخبرية والإنشائية؛ لدفع الرتابة عن السياق تأتي الاستعارة للفت نظر المتلقي إلى تصوير حال هؤلاء المنكرين، وإبطال ادعائهم؛ فجاءت الصورة الاستعارية (فتستجيبون)؛ إذ استعار الفعل (تستجيبون) للإحياء والبعث والحساب، وهو " تصوير لسرعة الإحياء والإحضار والانبعاث والحضور للحساب "[6]؛ فعمل التركيب الاستعاري على الربط بين نسقين تصوريين هما: (الإحياء والبعث) المستعار له، و(تستجيبون) المستعار منه؛ لينتج معنى مؤثراً ومقنعاً للكافرين، وهو تأكيد الإحياء والبعث، وأنهم في هذا اليوم لا يملكون من أمرهم شيئاً سوى الاستجابة لأمر الله؛ فاللفظ (تستجيبون) يملك كثافة دلالية عالية؛ بما يحمله من الدهشة والمفاجأة للمتلقي الذي يعاند ويجادل في البعث؛ بأنّ حاله في ذلك اليوم هو سرعة الاستجابة لأمر الله؛ فعملت الاستعارة التصريحية على إقناع المتلقي "وهذا ما عبّر عنه ميشال لوقيرن في معرض حديثه عن طبيعة الحجاج بوساطة الاستعارة بقوله: "إنّ الاعتراض على قولنا:(فلان بليد وعنيد) أيسر من الاعتراض على قولنا

---

[1] المرجع السابق نفسه، ص99.

[2] المرجع السابق نفسه، ص101-102.

[3] لسان العرب، مادة قوم.

[4] كبرى اليقينيات، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر السورية، دمشق، ط8، 1417هـ–1997م، ص317.

[5] سورة الإسراء، آية: 49–50–51– 52.

[6] ينظر تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ج15، ص128.

(فلان حمار)، والنكتة في ذلك أنّ حكم القيمة في الحالة الأولى جاء مصرحاً به من قبل المتكلم، في حين جاء هذا الحكم في الحالة الثانية مُستنتجاً من قبل المتلقي؛ فهو ثمرة تأويله لذلك القول، ولعمري إنّ إنكار ما يعرضه عليك مخاطبك على وجه التصريح لأيسر من إنكار ما تستنتجه أنت بنفسك بوساطة مجهودك التأويلي"[1].

والصورة وفاقية إذ يمكن جمع طرفيها (الاستجابة) و(الإحياء والبعث)، وهي تبعية على اعتبار الفعل (تستجيبون)، ومجيء المستعار (تستجيبون) بصيغة المضارع أضفى على الصورة التجدد والحركة والحيوية والاستمرار، والغرض من الصورة تأكيد البعث والإحياء بأسرع صورة.

ومنه ما جاء في سورة (يس) في قوله تعالى:﴿ **وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ(51) قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ(52)** ﴾[2].

لمّا كان السياقُ القرآني يتحدث عن إنكار البعث حكاية عن المشركين في قوله تعالى:﴿ **وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ** ﴾[3]، جاء الإخبار عن البعث مُصوراً حالهم وأقوالهم في ذلك اليوم، في قوله تعالى:﴿ **قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ**﴾[4].

بدأ الإخبار بالفعل الماضي، وكأن قولهم قد تمّ وتحقق، وأخذوا يتساءلون عمّن بعثهم، وقد أفاد الاستفهام التعجب والتحسر، "والمَرقد: مكان الرقاد وهو النوم"[5]، واستعير (مرقدنا) لـ(موتنا) تشبيهاً للميت بحال الراقد؛ فموتهم مهما طال ما هو إلا كنوم النائم الذي سيستيقظ مهما طال زمن نومه؛ " فمادة الصورة هي في الغالب من المحسوس، ولكنه ليس أي محسوس؛ فهي تُقنع، أو تكون منطوية على طاقة إقناعية لا تكون كذلك؛ لأنها من الحس فحسب، وإنما لأنّ هذا الحس نفسه مُنتزع من تجارب المتلقين المادية، وممارستهم المعيشية، ومشاهداتهم العينية، ومن سلوكهم اليومي"[6].

فاللفظ(مرقدنا) أشد تأثيراً وإقناعاً من لفظ موتنا لعادة النائم الاستيقاظ، وهي تبعية على اعتبار الاسم المشتق (مرقدنا)، ووفاقية على اعتبار جواز اجتماع طرفيها وهما: النوم والموت، والغرض منها تأكيد البعث وسرعة وحصوله.

وفي مشهد من مشاهد البعث جاء وصف الناس وهم يتّبعون الداعي للحشر، قال تعالى:﴿ **يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا(108)** ﴾[7].

صَوّرت الاستعارة حال الهلع والخوف التي يعيشها الناس يوم القيامة بأدقّ تعبير عن طريق تشخيص الأصوات وجعلها تخشع؛ فتمّ الربط بين النسق التصوري للأصوات والنسق التصوري للإنسان عن طريق الفعل (خشعت) الخاص بالإنسان، وتولد عن هذا الربط تشخيص الأصوات، وجعلها كائنات تخشع وتخاف؛ فاستُعير (الخشوع) لخفض الصوت، وإسراره، وهذا الخشوع من هول الموقف؛ فالتركيب الاستعاري يعبّر عن الخشوع المشخص في إطار بشري يحمل كثافة عالية من دلالات الخوف والذل اللذين أثارا المتلقي وشدّا انتباهه، وجاءت الاستعارة بصيغة الفعل الماضي الذي دلّ على أنّ الفعل تمّ وانتهى، والغرض من الاستعارة نقل حالة الرعب والخوف والهلع للمتلقي في ذلك الموقف، وهي تبعية على اعتبار الفعل (خشعت)، ووفاقية لإمكانية جمع طرفيها، ورُشح لها (فلا تسمع إلا همساً).

---

[1] الحجاج، عبد الله صولة، دار الفارابي، الطبعة الثانية،2007، ص577–578.

[2] سورة يس، آية: 51–52.

[3] سورة يس، آية: 48.

[4] سورة يس، آية: 52.

[5] ينظر تفسير التحرير والتنوير، ج23، ص37.

[6] الحجاج في القرآن، ص500

[7] سورة طه، آية: 108.

ومن الآيات التي جاءت فيها الاستعارة تصف يوم البعث حكاية عن المؤمنين؛ ما جاء في سورة (الإنسان) في قوله تعالى:﴿ **إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا**(10) ﴾[1].

تم إكساب اليوم صفة إنسانية هي العبوس عن طريق الاستعارة؛ لتعليل أفعال المؤمنين في الآيات التي سبقتها من إطعام الطعام ابتغاء وجه الله وخوفهم من يوم البعث، وجاء هذا التعليل بأبلغ صورة؛ فقد عملت الاستعارة على إبراز الجماد المجرد من الحياة بشكل إنسان يشعر، ويتحرك، ويعبس؛ فعمل اللفظ (عبوساً) ببنيته الصرفية –صيغة مبالغة–، وما يحمله من إيحاءات تثير خيال المتلقي؛ فيتصور ذلك اليوم العبوس بصورة مخيفة مفزعة ، وهي صفة الرجال الشرسي الأخلاق؛ كما توحي كلمة العبوس بالغضب الشديد؛ فعمل التركيب الاستعاري على تقديم اليوم مشخصاً؛ مما أثار خيال المتلقي؛ فجعلت الصورة الفكر متجدداً، والإحساس خصباً، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى فاعلية التشخيص في الاستعارة في قوله:" فإنك لترى بها الجمادَ حيا ناطقاً، والأعجمَ فصيحاً، والأجسام الخُرسَ مُبينةً، والمعانيَ الخفية باديةً جليّةً"[2]، وهي وفاقية تبعية رُشح لها" باللفظ (قمطريرا) والمقصود به المقبض بين عينيه[3].

2–الاستعارة المفردة في سياق وصف جهنم:

اتصفت آيات العذاب بكثرة الصور البيانية؛ فلا تكاد تخلو سورة تصف عذاب جهنم من صورة بيانية تُقرّب المعنى إلى ذهن المتلقي، وتؤكدُه، وتوضحُه، وتؤثرُ في وجدانه وأفعاله، ومن ذلك ما جاء في سورة (الزمر) في قوله تعالى:﴿ **لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ**(16) ﴾[4].

فبعد أن تحدث الله تعالى عن الخسران المبين، وهو خسارة النفس والأهل والزوج والولد يوم القيامة بما أغروهم بالكفر والضلال في الدنيا، فضلاً عن الخزي وغضب الله، بدأ بوصف العذاب الذي ينتظرهم متكئاً على الأسلوب الخبري؛ بما يحمله من قدرة على الوصف والتصوير، وتمّ الربط بين نسقين تصوريين هما: (الطبقة التي تعلو أهل النار في جهنم) المستعار له، و (الظلل) المستعار منه؛ فقد شُبهت الطبقة التي تعلو أهل النار بالظلّة، وهي استعارة عنادية تهكّميّة رُشح لها باللفظ (لهم)؛ فعملت الاستعارة على إثارة خيال المتلقي؛ فعندما يسمع اللفظ (ظلل) يبدو للسامع أنها تقيهم من حر جهنم، ثم لا يلبث أن يتبعها قوله تعالى:(من النار)؛ فيشعر بالألم والاشمئزاز؛ فهذه الظلل ليست لوقايتهم، وإنما لزيادة عذابهم وحرهم واحتراقهم؛ مما يُنتج معنى جديداً مؤثراً مخيفاً ومؤلماً للكافرين.

كما امتزجت الاستعارة بوسائل بلاغية أخرى منها: التقديم والتأخير، وما أفادت من تخصيصهم بهذه الظلل، ثم "عطف عليها (ومن تحتهم ظلل) على طريقة المشاكلة"[5]؛ مما زاد الصورة كثافة وإيحاء وبلاغة، فضلاً عن كون هذه الظلل التي من تحتهم مخصصة لكفار آخرين في طبقات النار التي تحتهم.

"فالاستعارة ليست تزويقاً لفظياً للخطاب بل أكثر من قيمة انفعالية؛ لأنها تعطينا معلومات جديدة تخبرنا... شيئاً جديداً عن الواقع"[6].

فغرض الصورة الإيحاء بشدة العذاب، وعدد طبقات النار في جهنم وأهوالها؛ فالصورة تحمل الوعيد والتهديد والتخويف لأولئك الخاسرين.

---

[1] سورة الإنسان، آية: 10.

[2] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص43.

[3] ينظر تفسير التحرير والتنوير، ج29، ص386–387.

[4] سورة الزمر، آية: 16.

[5] تفسير التحرير والتنوير، ج23، ص362.

[6] نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي، دار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2006، ص94.

وفي وصف آخر للنار ما جاء في سورة (ص) من قوله تعالى:﴿ **هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَّـَٔابٖ(55) جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ(56)**﴾ [1].

استعملت بنية مختلفة عن بنى الاستعارة السابقة ضمن أسلوب الذم استعير (المهاد)، وهو فراش النائم للنار من تحتهم؛ فبعد أن أُكد الكلام الخبري شرّ مآب الطاغين وهو جهنم التي ستكون عاقبتهم ومأواهم؛ فتسبب عن ذلك ذمّ هذا المقام بأسلوب بياني بُني على الاستعارة، وهي استعارةٌ اسمية تصريحية عنادية؛ إذ استعار اللفظة المفردة (المهاد) لجهنم على سبيل التهكمية، والغرض من الصورة الإيحاء بشدة التصاقهم بهذه النار، وأنّه لا راحة لهم فيها؛ فإذا كان فراشهم– وهو مكان الراحة– النار فكيف ستكون هذه الحياة؟.

وفي بنية مغايرة من سور(لقمان) جاء قوله تعالى:﴿ **وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ(23)نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ (24)**﴾[2]

وفي سياق يتحدث عن جزاء الكافرين جاء الإخبار عمّا أعدّه الله لهم من عذاب، وجاء وصف العذاب وتصويره عن طريق الاستعارة الاسمية؛ فقد استعار(غليظ) " لشدة حال العذاب الواقع على النفس، وعدم الطاقة لاحتماله"[3]؛ فاللفظ (غليظ) بما يحمله من إيحاءات تدلّ على ثقل العذاب وشدته وغلظه، يحمل المتلقي على تخيل شتى أنواع العذاب وألوانه وقسوته، وقد بنيت الاستعارة على صيغة (فعيل) التي تدلّ على الثبات، والغرض من الاستعارة الإيحاء بشدة العذاب، وثقله، وغلظته، وعدم تحمله يوم القيامة، والاستعارة هنا تصريحية وفاقية تبعية.

واستعيرت اللفظة نفسها بتغيير بنيتها الصرفية لوصف الملائكة في سورة (التحريم) في قوله تعالى:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ(6)** ﴾[4].

وُصفت النار وملائكتها في سياق يتحدث عن وعظ نساء النبي صلى الله عليه وسلم –ووعظ جميع المؤمنين– بألّا يغفلن عن موعظة أزواجهنّ وأهليهن؛ فجاءت الاستعارة ممزوجة بوسائل بلاغية أخرى؛ فقد بدأت الآية بالأسلوب الإنشائي، وهو نداء المؤمنين الذي أفاد تنبيه السامع إلى الحذر من هذه النار عن طريق فعل الأمر(قوا) الذي استُعير " للموعظة والتحذير"[5] ،كما استعير حرف الجر(عليها)" للتمكن"[6]، أي: أنهم موكلون عليها، ثم استعير"(غلاظ) للشدة وقساوة المعاملة"[7] وهي صفة ملائكة النار؛ فالغرض من الاستعارة الإيحاء بشدة العذاب الذي ينتظر أهل النار، وقسوة ملائكة النار، وشدتهم .

_ وفي بُنىً مغايرة عن البنى الاسمية في سياق وصف جهنم جاءت الاستعارة باستخدام بنية فعلية تصف جهنم وعذابها، ومن ذلك ما جاء في سورة (الدخان) في قوله تعالى:﴿ **إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ** ﴾ [8].

تتحدث الآيات عن بني إسرائيل وإعراضهم؛ فجاء وصف يوم الفصل، ثم انتقل إلى وصف عذاب جهنم بأسلوب يتنوع بين الكلام الخبري والإنشائي، جاءت الاستعارة ممزوجة بوسائل بلاغية أخرى كالتشبيه المفرد (كالمهل)، والمركب (كالمهل

[1] سورة ص، آية: 55– 56.

[2] سورة لقمان، آية:24.

[3] ينظر تفسير التحرير والتنوير، ج21، ص179.

[4] سورة التحريم، آية: 6.

[5] تفسير التحرير والتنوير، ج28، ص365.

[6] تفسير التحرير والتنوير، ج28، ص366.

[7] المصدر السابق نفسه، ص366.

[8] سورة الدخان، آية: 49.

يغلي في البطون كغلي الحميم)؛ فبعد أن شبّه الله تعالى طعام أهل النار بالمهل؛ شبّه غليان هذا المهل كغلي الحميم؛ "فاستعار الفعل (ذق) للإحساس"[1]؛ فالمستعار له هو (الإحساس)، والمستعار منه (ذق)؛ فصرّح بذكر المشبه به على طريقة التصريحية، وخرج فعل الأمر هنا إلى معنى الإهانة، وخُتمت الآية بـ (إنك أنت العزيز الكريم)، وهو كلام خبري أفاد التهكم والسخرية؛ لأن المقصود منه عكس مدلوله" أي أنت الذليل المهان"[2].

ومن الناحية الدلالية: فإن كلمة ذق تعني "وجود الطعم بالفم"[3] ، والغرض من الاستعارة الإيحاء باشتراك أكثر من حاسة من حواس الإنسان في هذا العذاب، وتجاوز العذاب الخلايا الحسية وحاسة الجلد إلى حاسة الذوق، وشدة وقع هذا العذاب على الكافرين، والتصاقهم به، فضلاً عن شموليتها طعم المذوق والإحساس به من حيث الحرارة.

و يتحدث في سياق آخر عن المجادلين في آيات الله، والمكذبين بالكتاب؛ فجاء الإخبار عمّا أعدّ الله لهم في سورة (غافر) في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ(69) ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ(70)إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ(71) فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ(72)ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ(73)**﴾ [4].

جاءت الاستعارة ممزوجة باستعارة أخرى؛ مما زاد المعنى إيحاء وكثافة؛ فقد بدأ الإخبار بظرف الزمان (إذ)، وهو" مستعار لزمن المستقبل محقق الوقوع تشبيها بالزمن الماضي"[5].

واستعير الفعل (يسجرون)؛ " لتشبيههم بالتنور في استقرار النار في باطنهم"[6]، والسجر هو: "تهييج النار"[7]؛ فالصورة تتصف بالحيوية، والحركة، والتجدد، والاستمرار، وذلك على اعتبار الفعل المضارع (يسجرون)، وغرض الصورة الإيحاء بشدة الحرق الكائن في أجسادهم، وتجدد هذا الحرق، والزيادة في إشعاله، حتى صارت أجسادهم كالتنور المشتعل.

ومن الآيات التي تتحدث عن جزاء المجرمين، ووصف أفعالهم المؤذية للمؤمنين في سورة (المطففين) في قوله تعالى:﴿ **هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ** ﴾[8].

جاءت الاستعارة في أسلوب إنشائي بُني على الاستفهام الذي خرج إلى التقرير والتعجب، واستعير الفعل (ثوّب) لجزاء الشر على طريقة العنادية التهكمية بقرينة (الكفار)، وهو في أصله يستعمل لـ "ما يُجازى به من الخير على فعل محمود"[9]؛ فالصورة التي عبّرت عن جزائهم جاءت بطريقة تهكمية كما كانوا يستهزؤون بالمؤمنين في الدنيا، واتصفت الصورة بالتحقق والحدوث في الزمن الماضي، والغرض من الصورة الإيحاء بعدل الله المطلق، وأنّ مصيرهم وجزاءهم هو من جنس ما اقترفته أيديهم.

---

[1] ينظر تفسير التحرير والتنوير، ج25، ص316.

[2] ينظر المصدر السابق نفسه، ج25، 316.

[3] مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، مادة ذوق، ص332.

[4] سورة غافر، آية: 69– 73.

[5] تفسير التحرير والتنوير، ج24، ص202.

[6] المرجع السابق نفسه، ج24، ص203 (ويجوز أن يكون مجازا بعلاقة الإطلاق).

[7] مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، 397.

[8] سورة المطففين، آية: 36.

[9] تفسير التحرير والتنوير، ج30، 216.

3–الاستعارة في سياق وصف نعيم الجنة:

في مشهد يصف دخول المؤمنين الجنة، واستقبال الملائكة لهم جاء الإخبار الذي صوّر فرحة المؤمنين مبنيا على الاستعارة في سورة (الزمر) في قوله تعالى:﴿ **وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ** ﴾[1].

فبعد أن حمد المؤمنون الله، وأثنوا عليه؛ جاءت الاستعارة التي زادت المعنى وضوحاً وتكثيفاً؛ فقد استعار الفعل (أورثنا) للإعطاء مُشبها العطاء "بالتوريث في سلامته من تعب الاكتساب"[2].

ومن ناحية الدلالة توحي الصورة بالتمليك والعطاء والاستقرار والخلود والراحة؛ لأنّ الميراث أسهل أنواع التمتع والكسب، وهي لفظة لها أثر وصدى وجداني وصدى في نفس المتلقي، إذ أسهمت الاستعارة في إثارة انفعال المتلقي، وتحريك مشاعره؛ فعملت "عمل المثير الذي يؤدي إلى استجابات وجدانية من قبل المتلقي، وهذا لا يَتأتى إلا إذا كانت الرسالة التي يبلّغها الأديب غنية باهتمامات المخاطب، ومشحونة بالفِكَر التي يميل إليها أو يتألم منها"[3].

وامتزجت الاستعارة بأخرى؛ فاستعيرت (الأرض) للجنة؛ "لأنها قرارهم كما أنّ الأرض قرار الناس في الحياة الأولى"[4]، والغرض من الصورة الإكرام، والإثابة، والعطاء، والتمليك، والترغيب، والتشويق للمؤمنين.

وهي وفاقية تبعية جاء الفعل فيها بصيغة الماضي الدال على التحقق، ورُشح لها باللفظ (نتبوأ)"والمقصود: الحلول، والسكن، والتنقل في الغرف تفنناً في النعيم"[5].

ومن وصف نعيم الجنة ما جاء في سورة الإنسان في قوله تعالى:﴿ **وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلًا** ﴾[6].

في سياق يصف ثواب أهل الجنة، وما خبّأ الله لهم من نعيم وعطايا، بدأ الإخبار عن النعيم بالتمهيد بالدال (دانية) الذي يوحي دلالياً بقرب الأشجار من أهل الجنة، وعبّر عن الأشجار وكثافتها بالكناية (ظلالها)، واستعير الفعل (ذللت) للتيسير[7] ، وعبّر عن الثمار بكلمة (القطوف) التي جاءت بصيغة الجمع؛ لتوحي بكثرة تلك الثمار، وتتصف الصورة بالتحقق والحدوث وكأن الفعل قد تم أمام القارئ للآيات، والغرض من الصورة التشويق، والترغيب، والتبشير، واليسر، والسهولة في الحصول على أي شيء في الجنة.

وفي وصف للمؤمنين والمؤمنات يوم القيامة جاء وصف النور الذي كان يميزهم في سورة (الحديد) في قوله تعالى:﴿ **يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ(12)** ﴾[8].

شُخّص النور عن طريق الاستعارة؛ فالنور لا يسعى، بل الإنسان هو الذي يسعى؛ فاستُعير الفعل(يسعى) للنور، وهو خاص بالإنسان؛ للفت نظر المتلقي إلى سعة هذا النور وانتشاره وامتداده، وشبهه باشتداد مسير الماشي؛ فهو نور خاصٌّ بالمؤمنين يحفّ بهم أينما ذهبوا، وجمال هذه الصورة التشخيصيّة يظهر في المعنى الذي أنتجته الاستعارة، والمتجلي في إحياء الجماد، حين جعل (النور) شخصاً يسعى مع أصحابه؛ فالغرض من الاستعارة هو التشويق، والترغيب.

---

[1] سورة الزمر، آية: 74.

[2] ينظر تفسير التحرير والنوير، ج24، ص73.

[3] المعنى وظلال المعنى/ أنظمة الدلالة العربية، محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، الطبعة الثانية، 2007م، ص211.

[4] ينظر تفسير التحرير والتنوير، ج24، ص 73.

[5] ينظر المصدر السابق نفسه، ج24، ص73.

[6] سورة الإنسان، آية: 14.

[7] ينظر تفسير التحرير والتنوير، 29، ص390.

[8] سورة الحديد، آية: 12.

الاستعارة المركبة: كان للاستعارة المركبة فاعليتها في آيات يوم القيامة، ومن ذلك ما جاء في سورة (الزمر) في الإخبار عن قدرة الله وعظمته في قبض الأرض، وطي السماوات بيمينه يوم القيامة في قوله تعالى:﴿ **وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ(67)** ﴾[1].

تتحدّث الآيات عن المشركين وخيبتهم وخسرانهم وجهلهم وعدم تعظيمهم الله وتقديرهم حق قدره؛ فجاءت الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى:﴿ **وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ** ﴾ وقد مُثلت عظمة الله تعالى بحال من أخذ الأرض في قبضته، ومن كانت السماوات مطوية أفلاكها بيده"[2].

وهو تركيب بني على استعارتين مفردتين؛ مما زاد المعنى كثافة وتأثيراً؛ فاستعار (قبضته) للتناول، والذي يدلّ على تمام التمكن والسيطرة، كما استعار (مطويات)؛ ليعبر عن زوال السماء يوم القيامة، والغرض من الصورة عرض جهل المشركين، وإظهار عظمة الله تعالى وقدرته، والصورة تتصف بالثبوت على اعتبار الجمل الاسمية (الأرض قبضته) و(السموات مطويات بيمينه)، ومن الاستعارة المركبة ما جاء في وصف جهنم في سورة(الملك) في قوله تعالى: ﴿ **إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ(7) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كلما ...**﴾[3].

نلحظ في ذلك السياق الذي يتحدث عن عظمة الله، وخلقه السموات والأرض، والعذاب الذي أعده الله للشياطين والكافرين؛ كيف بدأ الإخبار بأداة الشرط (إذا)؟، وهي ظرف لما يستقبل من الزمان، وتدخل على متحقق الوقوع، و"مُثلت حالة فورانها، وتصاعد ألسنة لهيبها، ورطمها ما فيها، والتهام من يُلقون إليها؛ بحال مغتاظ شديد الغضب لا يترك شيئاً مما غاظه إلا سلط عليه ما يستطيع من الأضرار"[4]، وتوحي الصورة باستمرار الفعل وتجدّده بسبب استخدام الفعلين المضارعين: على اعتبار الأفعال المضارعة (تكاد) (تميز)، والغرض من الصورة التهويل، والتفظيع، والتخويف، وإظهار عظمة النار وهولها.

ومثلُ ذلك ما جاء في سورة (البقرة) في قوله تعالى:﴿ **إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ(166)** ﴾[5].

ورد في السياق القرآني حديث عن الذين يتخذون من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله، وأنّ هؤلاء الظالمين عندما يرون العذاب سيدركون أنّ القوة لله جميعاً، وسيتبرؤون من أتباعهم عندما ينقطع الرجاء منهم، وجاء الإخبار بالأفعال الماضية (تبرأ– رأوا –تقطعت) للدلالة على تحقق وقوعها، و"شُبهت هيئتهم عند خيبة أملهم حين لم يجدوا النعيم الذي تعبوا لأجله مدة حياتهم؛ فوجدوا عوضه العذاب، بحال المرتقي إلى النخلة؛ ليجتني الثمر الذي كدّ لأجله طول السنة؛ فتقطّع به السبب عند ارتقائه؛ فسقط هالكا"[6].

والصورة مستمدة من الواقع، والمتأمل يلحظ قوة الصورة التي يظهر بوساطتها "اضطرار المتلقي إرجاء لحظة اعتراضه على الحكم الذي يأتي به الكلام، وآية ذلك أنّ المتلقين من الخصوم خاصة قد يستطيعون أن يعترضوا مثلا على قضية (الشرك ضلال) لو قدمت إليهم على النحو المذكور بقولهم:(ليس الشرك ضلالاً) لكنهم لا يستطيعون إنكار المفهوم الحاصل من كلمة (الظلام) و هكذا...على أنّ المتلقين في جميع هذه الأمثلة وفي غيرها إذ تضطرهم الصورة في المرحلة الأولى إلى التسليم بالمفهوم الأول الحاصل منها؛ لكونه من عالم خطابهم؛ فقد يجدون أنفسهم في مرحلة ثانية مجبرين على أن يستنتجوا انطلاقاً من ذلك المفهوم الأول أن الشرك ضلال...ومعنى هذا أنّ في تأجيل الاعتراض بوساطة الانتقال بالمعنى

---

[1] سورة الزمر، آية: 67.

[2] تفسير التحرير والتنوير، ج24، ص63.

[3] سورة الملك، آية: 7–8.

[4] تفسير التحرير والتنوير، ج29، ص24.

[5] سورة البقرة، آية: 166.

[6] تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص97.

من الحقيقة إلى المجاز استدراجاً للمتلقين إلى القبول بالأطروحة التي تعرضها عليهم الصورة"[1]؛ فالغرض من الصورة التهكم من الكافرين وأوليائهم، وتخويفهم.

ومن الاستعارة المركبة ما جاء في وصف حال أهل اليمين في سورة (الانشقاق) في قوله تعالى:"﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ(7)فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا(8)وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا(9)** ﴾[2]

بعد الإخبار عن يوم القيامة وما فيها من أهوال، والإخبار برجوع جميع الناس إلى الله جاء التفصيل والمقارنة بين حال المؤمنين والكافرين؛ فجاء التبشير للمؤمنين بوصف حالهم، وفرحهم يوم القيامة عن طريق الاستعارة المركبة؛ فـ "مُثلت حال المحاسَب حساباً يسيراً في المسرة والفوز بعد العمل الصالح في الدنيا بحال المسافر لتجارة حين يرجع إلى أهله سالماً رابحاً؛ لما في الهيئة المشبه بها من وفرة المسرة بالفوز والربح والسلامة، ولقاء الأهل وكلهم في مسرة" [3]، والغرض من الصورة تبشير المؤمنين وإكرامهم.

ومن ذلك ما جاء في سورة (النحل) في قوله تعالى:﴿ **لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ(25)**﴾ [4]

تتحدث الآيات عن صفات الذين لا يؤمنون بالآخرة، ثم يأتي الإخبار عن حالهم يوم القيامة ممثلاً لحالهم بحال حامل الثقل؛ فـ "شُبه الذنب أو الجرم بالوزر، ومثّل لحالة وقوعهم في تبعات جرائمهم بحالة حامل الثقل؛ فلما شبه الإثم بالثقل فأطلق عليه الوزر شبّه التورط في تبعاته بحمل الثقل على طريقة التخييلية، وحصل من الاستعارتين المفرقتين استعارة تمثيلية للهيئة كلها"[5]، وتتصف الصورة بالتجدد والاستمرار، والغرض من الصورة الإنذار، وإظهار عقوبة الذين لا يؤمنون بالآخرة، وسوء حالهم يوم القيامة؛ "فالصورة تترك عادة محلاً شاغراً في الكلام، وأنّ هذا المحل الشاغر يؤدي إلى جعل الكلام نصفين: منطوقاً أو مصرحاً به، ومفهوماً يأتي لسد ذلك المحل الشاغر"[6].

النتائج: يمكن التوصل إلى الملاحظات والاستنتاجات الآتية بعد تناول بعض النماذج القرآنية حول الاستعارة، وهي:

1- غلبة الاستعارة المفردة على المركبة في آيات يوم القيامة.

2- تنوعت بنية الاستعارة بين الفعلية والاسمية في مختلف السياقات، وكان لكل بنية فاعليتها في خدمة المعنى؛ فمجيء اللفظ المستعار فعلاً مضارعاً يضفي على الصورة التجدد والحيوية والحركة، ومجيء اللفظ المستعار فعلاً ماضياً يضفي على الصورة التحقق والثبوت، ومجيء اللفظ المستعار اسماً يضفي على الصورة الثبات.

3- امتزاج الاستعارة بغيرها من الوسائل الفنية منحها كثافة إيحائية أعمق، وأبعاداً دلالية أوسع.

4- اتصفت العلاقة بين المستعار له والمستعار منه في معظم صور العذاب بالتباعد بين الطرفين إلى درجة التضاد الذي خرج إلى السخرية والتهكم، ومنه:(هل ثوّب) (ذق).

5- لقد كان للسياق الذي ترد فيه الصورة دور كبير في إثارة انتباه المتلقي، والتأثير في وجدانه.

6- ندرت الاستعارة المركبة في سياقات البعث والجنة والنار، ولكن ورد منها ما جاء في وصف عظمة الله، ووصف جهنم، ووصف حال الكافرين، ووصف المؤمنين.

---

[1] الحجاج، 577.

[2] سورةالانشقاق، آية: 7-8-9.

[3] تفسير التحرير و التنوير، ج30، ص223.

[4] سورة النحل، آية:25.

[5] ينظر تفسير التحرير والتنوير، ج14، ص132.

[6] الحجاج في القرآن، ص365.

7- كانت وظيفة الاستعارة خدمة السياق الذي وردت فيه؛ فمن أهم أغراضها: تأكيد البعث في سياق البعث، والتهويل والتخويف والتنفير في سياق النار، والترغيب والتحبيب والتشويق في سياق الجنة.

8- عملت الاستعارة على إعطاء معان جديدة عن طريق الجمع بين العناصر المتشابهة أو غير المتشابهة؛ فأثارت ذهن المتلقي من حيث فهمها واستيعابها وتذوقها؛ مما حرّك الخيال، وأثار الإحساس، ونبّه العقل.

المصادر

1-القرآن الكريم.

المراجع

1-أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الطبعة الأولى، دار المدني، جدة،1991م.

2-الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، 1997م.

3- البلاغة العربية، عاطف فضل محمد، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 1997.

4-تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

5-جواهر البلاغة والبيان، أحمد الهاشمي، دار القلم، ط1، دمشق.

6-الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صوله، دار الفارابي، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، 2007م.

7-دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، طبعة خاصة من مكتبة الخانجي لمكتبة الأسرة،2000م.

8-الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، مطبعة المقتطف، مصر.

9-علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.8

10-كبرى اليقينيات، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق.

11- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.

12- المعنى وظلال المعنى/ أنظمة الدلالة العربية، محمد يونس علي، الطبعة الثانية، دار المدار الإسلامي، 2007م.

13-مفتاح العلوم، السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت.

14- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق.

15- المعنى وظلال المعنى/ أنظمة الدلالة العربية، محمد يونس علي، الطبعة الثانية، دار المدار الإسلامي، 2007م.

16-نظرية تأويل الخطاب وفائض المعنى، بول ريكر، ترجمة سعيد الغانمي، دار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2006م.

17-النظرية الاستبدالية للاستعارة، يوسف أبو العدوس، مجلس النشر العلمي، 1990م.

14. **مرتاض عبد الملك، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد.** سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، بإشراف أحمد مشاري العدواني 1923–1990، الكويت.

15. **ابن المقفع** عبد الله، **كليلة ودمنة.** (د. ط)، دير الآباء الدومنكيين، الموصل 1869.

16. **ابن** منظور، **لسان العرب**، مج11، (د.ط)، دار صادر، بيروت(د.ت).

17. **ابن** منظور، **لسان العرب**، مج 15، (د.ط)، دار صادر، بيروت (د.ت).

18. **وهبة** مجدي ، المهندس كمال، **معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب** .الطبعة الثانية، مكتبة لبنان بيروت،1984.

19. **يقطين** سعيد، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط3، 1997.

المراجع الأجنبية

20. **CUDDUN.A**. **a dictionary of literary terms and literary theory**.revised by M.A.R Habib. mattbew birchwood: Vedrana Velickovic, Martin Dines and Sbany Fiske. Fifth edition. Wiley Blackwell. 2007. p:665and666.

21. **GUSTAZ**.L.s.j **dictionary syriaque** - Français / Syriac - English Dictionary قاموس سرياني عربي— dar-elmachreq- beyrouth.2002.

22. **SMITH P**., **Syriac dictionary**. Clarendon press, Oxford، 1903.

المراجع السريانية

23. **ܐܘܪܗܝ ܒܪ ܥܒܕܐ**، ܡܪ ܡܘܪ، **ܟܬܒ ܟܠܝܠܐ ܘܕܡܢܐ -ܡܬܪ- ܡܬܪ ܟܠܝܠܐ ܘܕܡܢܐ ܡܪ ܡܘܪ ܐܘܪܗܝ ܒܪ ܥܒܕܐ**، ܒܝܪܘܬ، ܡܢܫܘܪܐ ܡܪܟܙ ܒܐܒܐ، 1975.

24. **ܡܪ ܐܘܓܝܢ ܒܪ ܫܡܫܝ**، ܟܬܒ ܟܠܝܠܐ ܘܕܡܢܐ. ܡܬܪ ܡܢ ܫܡܫܝ ܐܘܓܝܢ ܒܪ ܫܡܫܝ، ܒܝܪܘܬ ܡܢܫܘܪܐ ܡܪܟܙ ܒܐܒܐ1989.

25. ܡܪ ܐܘܓܝܢ ܒܪ ܫܡܫܝ. ܟܬܒ ܟܠܝܠܐ ܘܕܡܢܐ- ܡܬܪ ܡܢ ܫܡܫܝ ܐܘܓܝܢ ܒܪ ܫܡܫܝ. ܒܝܪܘܬ ܡܢܫܘܪܐ ܡܪܟܙ ܒܐܒܐ.

الرسائل والمجلات:

1- **بوطيب** عبد العالي، **إشكالية الزمن في النص السردي**، فصول مجلة النقد الأدبي دراسة الرواية، المجلد الثاني عشر، العدد الثاني،1993، من ص129 حتى ص145.

2- **قلعة جي** غالية، كليلة ودمنة في الترجمتين السريانية والعربية، دراسة تحليلية مقارنة في ضوء اللغات السامية" رسالة دكتوراه، بإشراف الدكتور ظافر إبراهيم يوسف، جامعة حلب، 2009م.

3- **كزارة** صلاح، كليلة ودمنة في الترجمتين السريانية القديمة والعربية، مجلة المخطوطات العربية، القاهرة، مج54، ج1،2010. من ص181حتى ص214.